

عمدة القاري

فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف وهو الأصح ولا يثبت شيء غير ذلك وزوجها أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر ابن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن الخرج الأنصاري شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبقي إلى زمن عثمان بن عفان .
ثم الكلام فيه على أنواع .

الأول في سبب نزول هذه الآيات وهو أن خولة بنت ثعلبة كانت امرأة جسيمة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فنظر إلى عجزتها فلما انصرفت أرادها فامتنعت عليه وكان أمراً فيه سرعة ولم يقل لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الإيلاء والطهار من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت علي فأنت النبي فقالت يا رسول الله ﷺ إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه ينعشني به فقال رسول الله ﷺ حرمت عليه فقالت يا رسول الله ﷺ والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال رسول الله ﷺ حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله ﷻ فاقتني ووحدتي قد طالت صحبتي ونفست له بطني أي كثر ولدي فقال رسول الله ﷺ ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أؤمر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله ﷺ فإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله ﷻ فاقتني وشدة حالي ألهم أنزل على لسان نبيك وكان هذا أول طهار في الإسلام فأنزل الله ﷻ تعالى عليه قد سمع الله ﷻ قول النبي ﷺ تجادلني في زوجي (المجادلة 1) الآيات قال لها ادعي زوجك فجاء فتلا عليه رسول الله ﷺ قد سمع الله ﷻ الآيات ثم قال له هل تستطيع أن تعتق رقبة قال إذا يذهب مالي كله الرقبة غالية وأنا قليل المال فقال هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال واياي رسول الله ﷺ إن لم آكل في اليوم ثلاث مرات كل بصري وخشيت أن تغشو عيني قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال لا واياي رسول الله ﷺ أن تعينني على ذلك يا رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ أني معينك بخمسة عشر صاعاً واجتمع لهما أمرهما فذلك قوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم (المجادلة 2) وكلمة منكم توبيخ للعرب وتهجين لعاداتهم في الطهار لأنه كان من إيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم قوله ما هن أمهاتهم أي ليست النساء اللاتي يظاهرون منهن أمهاتهم لأنه تشبيه باطل لتباين الحالين إن أمهاتهم أي ما أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول (المجادلة 2) لا يعرف صحته وزورا يعني كذباً باطلاً منحرفاً عن الحق .

النوع الثاني في صورة الطهار أعلم أن الألفاظ التي يصير بها المرء مطاهراً على نوعين صريح نحو أنت علي كظهر أمي أو أنت عندي كظهر أمي وكناية نحو أن يقول أنت علي كأمي أو

مثل أمي أو نحوهما يعتبر فيه نيته فإن أراد طهارا كان طهارا وإن لم ينو لا يصير طهارا وعند محمد بن الحسن هو طهار وعن أبي يوسف هو مثله إن كان في الغضب وعنه أن يكون إيلاء وإن نوى طلاقا كان طلاقا بائنا .

النوع الثالث لا يكون الطهار إلا بالتشبيه بذات محرم فإذا طاهر بغير ذات محرم فليس بظهار وبه قال الحسن وعطاء والشعبي وهو قول أبي حنيفة والشافعي في قول وعنه وهو أشهر أقواله إن كل من طاهر بامرأة حل له نكاحها يوما من الدهر فليس طهارا ومن طاهر بامرأة لم يحل له نكاحها قط فهو طهار وقال مالك من طاهر بذات محرم أو بأجنبية فهو كله طهار وعن الشعبي لا طهار إلا بأم أو جده وهو قول للشافعي رواه عنه أبو ثور وبه قالت الظاهرية .

واختلفوا فيمن طاهر من أجنبية ثم تزوجها فروى القاسم بن محمد عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إن تزوجها فلا يقربها حتى يكفر وهو قول عطاء وسعيد بن المسيب والحسن وعروة قال ابن حزم صح ذلك عنهم قلت إن أراد بالصحة عن المذكورين فالأثر عن عمر منقطع لأن القاسم لم يولد إلا بعد قتل عمر رضي الله تعالى عنه وإن أراد الباقيين فيمكن وقال في (التلويح) قال ابن عمر قال ابن أبي ليلى والحسن بن حي إن قال كل امرأة أتزوجها فهي على كظهر أمي أو سمي قرية أو قبيلة لزمه الطهار وقال الثوري فيمن قال إن تزوجتك فأنت طالق وأنت علي كظهر أمي ووا لا أقربك أربعة أشهر فما زاد ثم تزوجها وقع الطلاق وسقط الطهار والإيلاء لأنه بدأ بالطلاق .

النوع الرابع فيمن يصح منه الطهار ومن لا يصح كل زوج صح طلاقه صح طهاره سواء كان حرا أو رقيقا مسلما أو ذميا دخل بالمرأة أو لم